علاقة العلم بالأخلاق

بالنسبة للآيات السابقة وكما ذكرنا أن القرآن الكريم ، أتى بـ " تعليم الكتاب والحكمة " الى جانب : " التزكيـــــــــــة والتهذيب الأخلاقي " . فتارة يقدم " التزكية " على " التعليم " واخرى يقدم " التعليم " على التزكية وهو أمر يبين مدى العلاقة الوثيقة التي تربط بين الاثنين .

وهذا يعني أن الانسان عندما ينفتح على المعرفة وتكون لديه خبرة بالاعمال الحسنة والسيئة ويعرف عواقب " الفضيلة " و " الرذيلة " فمما لا شك فيه أنها ستؤثر في تربيته بحيث يمكن القول أن كثيرا من الرذائل ناتجة من عدم الاطلاع والفهم ومن ذلك يمكن القول : انه إذا ما إستطعنا أن ننهض بالمستوى العلمي للأفراد وبعبارة اخرى : إذا أمكننا نشر الثقافة بين الناس فستحل الفضائل مكان الرذائل وإن كان هذا الأمر ليس كليا . ومع الاسف الشديد نرى أن البعض بالغوا فيها لدرجة الإفراط والتفريط .

فبعض إتبعوا الحكيم سقراط اليوناني ، حيث كان يعتقد بأن العلم والحكمة هي منشأ الأخلاق الحميدة والرذائل الأخلاقية منشؤها الجهل ولذلك فإنه كان يعتقد أيضا أنه ولأجل محاربه الفساد والرذائل الأخلاقية وإحلال الفضائل الأخلاقية محلها يجب العمل على رفع المستوى العلمي للمجتمع وبالتالي تتساوى (الفضيلة) مع (المعرفة) .

هؤلاء يدعون أنه لا يوجد إنسان يتجه نحو الرذيلة وهو على علم بها ، وإذا ماشخص الانسان الفضيلة فسوف لن يتركها.

ولذلك يتوجب علينا كسب العلم ومعرفة الخير وتمييزه من الشر لنا ولغيرنا كي تزرع في نفوسنا بذور الفضائل الأخلاقية ! .

وفي المقابل يوجد من ينفي هذه العلاقة بين الاثنين بالكامل لان العلم والذكاء للإنسان المجرم سيكون عاملا مساعدا له في إرتكاب جرائم أخطر وعلى حد تعبير المثل الذي يقول : (إذا كان مع اللص مصباحا فإنه سوف ينتفي البضائع الجيدة) .

ولكن الحق والإنصاف أنه ليس بإمكاننا نفي تأثير العلم بالكامل ولا نفي معلولية أحداهما للاخر . والشاهد على ذلك المثل الحية التي نراها في المجتمع فكثيرا ما شاهدنا اناسا كانوا يفعلون الرذائل وعندما أدركوا قبح فعالهم ونتائجها السيئة أقلعوا عنها وإتجوا نحو الفضائل ووجدنا هذا الأمر حتى في وقتنا الحاضر هذا .

وفي المقابل نعرف أشخاصا عندهم المعرفة التامة بالخير والشر ولكنهم يصرون على الشر وهو متأصل في نفوسهم . وكل ذلك لأن الانسان لديه بعدان : بعد العلم والادراك وبعد عملي وهو الميول والغرائز والشهوات ولأجل ذلك فساعة يميل الى هذا وساعة يرجح ذلك . والذي يقول بأحد القولين فأنه يفترض أن الإنسان فيه بعد واحد لا أكثر ، ويغفل عن وجود البعد الآخر .

فالحقائق والتجارب أثبتت أن المعرفة والعلم بنتائج الأخلاق الرذيلة على الفرد والمجتمع يمكنه أن يكون في كثير من الموارد عاملا مهما في ردع الانسان عن غيه والرجوع الى ساحة الصواب ولكن ومن جهة اخرى أيضا نجد أن هناك من يعرف الرذيلة حق معرفتها : ولكنه يصر عليها ويعاند على سلوك طريق الإنحراف والطريقة الوسطى في الحقيقة هي الجادة وتنطبق على الواقع أكثر .

اخلاقيات العلم :

في البدء لابد من معرفة الدائرة الاوسع او المجال العام وما ينبغي ان يتسم به المجال ومنه نستطيع ان نتعرف على مقومات الموضوع نفسه وبالتالي ماذا يجب ان تحمله الذات (الباحث) من صفات حتى تنسجم مع دائرة العطاء وبالتالي نصل الى النتائج التي تحقق الاهداف الحضارية .

تعتبر اخلاقيات العلم من المواضيع التي تلتقي عندها اهل العلم والفلسفة وعلى مستوى الفكر وعلى مستوى الواقع تشتبك في اطرافه الساسة والعسكريون واهل الاقتصاد ورجال الاعمال والصناعة والقانون والاعلاميون ورجال التربية وكل المعنيون بقيمة الانسان .

وذلك بهدف المعالجة الشاملة لمعايير السلوك العلمي وقيم الممارسة العلمية ، اي اخلاقيات البحث وانتاج المعرفة العلمية التي هي عصب التقدم الحضاري وقد ذهبت المناهج الفلسفية في طرح الاصول الاخلاقية وتطبيقاتها بشكل ناضج ومتكامل . ومنذ زمان بات العلماء والعامة من الناس واهل السياسة على وعي متزايد باهمية الاخلاقيات في البحث العلمي وتحديدا منذ القرن التاسع عشر حيث اخذ مجال في الكتب المنظمات المتخصصة لتحدد معايير مهنية ومواصفات . لهذا اعتبر ان الافتقار الى الاخلاقيات في العلم دائما ما يهدد سلامة واستقرار البحث .

من جانب آخر فان اي انحراف اخلاقي مهما كان حجمه او محدودية وقوعه في المجال العلمي فان واقعة حدوثه كانت سبب للاهتمام باهمية المعايير والسلوك الاخلاقي المتناسب مع انسانية الانسان . وقد يجد في المقابل ان بعض العلماء او الساسة لا يهمهم الانحراف الاخلاقي او الحيدان عن المؤشرات القيمية ولا يجعلونها سببا فالرجوع عن مشاريع علمية او نتائج يريدونها ان تتحقق باعتبارها من مبتكرات العلم الحديثة مثل التجارب النووية او استنتاخ الاجنة البشرية والحيوانية او ما هو مخالف للاحكام الشرعية المعلومة والواضحة .

والعلم نشاط تعاوني يحدث داخل سباق سياسي واجتماعي اكبر . لذا فان طلبة العلم بحاجة الى اطار التوجيهات المناسبة في الاخلاقيات ، حيث ان البعض يركز في الثقافة التربوية والاخلاقية عند مرحلة الطفولة ويكتفون بها ولكن على العكس في كل المراحل فإن بناء منظومة تربوية واخلاقية وتنميتها امر لابد منه .

ولكن علم النفس الارتقائي يؤكد لنا ان الناس يواصلون تعلم الاخلاقيات والقدرة على الاستدلال الاخلاقي طوال الحياة . رغم ان بعض العلماء او الاشخاص قد يجدون انهم لا يحتاجون في هذه المرحلة المتقدمة اي جرعة من القيم او الاخلاقيات على اساس ان لديهم من الوعي ما يدرك فعله وما يريد ان ينتجه من سلوك .

وكل منا يريد ان تتكون لديه قواعد الاخلاقيات العلم سواء بالفكر والتعلم والممارسة والتطبيق فانه سيجد نفسه امام اسئلة عديدة منها ماهي الاخلاق وما هي مقاييس الرضا في تحديد هذا السلوك وهل يقع في اطار الاخلاقيات المقبولة أم يقع خارج الاطار الاخلاقي وبالتالي يعد انحرافا وحسب درجته وما هو العلم المقصود في مجال البحث او في الممارسة المهنية والحياتية ... وينشأ لديه كمحصلا لهذا التفكير اطارا او سؤال رئيسا هو ما العلاقة بين العلم والاخلاق؟

ولابد في كل هذا ان يميز بين الاخلاقيات من حيث هي مادة موضوع والاخلاقيات من حيث هي ميدان دراسة فالاخلاقيات في حقيقة الامر معيار للسلوك

(او قاعدة اجتماعية) لارشاد السلوك ان معيار السلوك لا يصف سلوكنا الفعلي لان مختلف الناس لهم معايير يقيسون عليها وقد يكون لكل مهنة اخلاقيات خاصة بها ومعايير للسلوك تطبق على هؤلاء الذين يشتغلون في مهنة معينة ،

وقد كتبت كتب في علم الاخلاق مداخل عديدة حددت ماهية الاخلاق وكيف تؤشر كمعايير وتقبل كمقياس لمعرفة السلوك السوي من السلوك المنحرف . كما ان هناك قانون عام ينظم العلاقات العامة في المجتمع حيث يشعر كل شخص في المجتمع ان لديه حس مشترك بالخلق العام .

ونظرية الخلق العام تؤسس الى اساسيات الحس المشترك والتوافق والرضا بين عموم الناس في الطبائع والسلوكيات التي تدخل في خصوصية المجتمع الانساني .

والاديان السماوية وضعت معاييرها الاخلاقية وفق تصوراتها عن حقيقة الكون وحقيقة الانسان وحقيقة الحياة وحقيقة كل الوجود مرتبطة اساسا بالمرجع الاوحد وهو الحق سبحانه ضمن دائرة حقيقة الالوهية والربوبية.

وبهذا انصبت القيم والاخلاق في الدين عموما وفي الاسلام خصوصا انها ليست وجدانيات او شعارات او فكر يتم هضمه للمتعة او للترف وانما ربط بشبكة دقيقة مع كل مجالات الحياة فلا تجد جزئيه من اي نظام في الحياة ليس للقيم والاخلاق دور منها بل على العكس جعل كل الدين هو المعاملة اي السلوك .

وعندما ندقق في جوهر النتائج ليس صور العبادات وانما على النوايا والممارسات والنتائج التي تعطيها السلوكيات الموافقة لمعيار الشرع الذي جاء في اسمى نظرية اخلاقية ما توصل اليها البشر الا بعد دمار وتمزق وما يسير الان الوضعيون من بناء اخلاقيات الحداثة إلا لتمزق كل ما بقي من مكونات هذا الانسان تحت سمات العولمة او التجدد او الديمقراطية او ... الخ .

لهذا نجد ان معايير السلوك الاخلاقي في العلم والبحث العلمي جاءت انطلاقا من ضرورة تجنب العلماء من الاضرار بالمجتمع كما يجب عليهم تحقيق منافع اجتماعية ويجب ان يكون العلماء مسؤولون عن عواقب ابحاثهم.

لهذا فالعلماء والبحث العلمي والعلم وكل عملية تدور في فلك المعرفة تسعى الى استبعاد الجهل وحل المشكلات وتفسير الاحداث وازاحة التراكم الوهمي والخرافي لذا يعتبر اختلاق المعطيات (البيانات) عنصر لا اخلاقي في العلم لانه شكل من اشكال الكذب الذي هو خطأ خلقـي .

بالمقابل فإن اضافة معطيات خاطئة او بيانات كاذبة سوف تعصف بمناخ الامانة التي تلعب دورا مفتاحيا ورئيسيا في العلم . لذا ينبغي على العلماء ان يتحملوا المسؤولية الاجتماعية من اجل الوفاء بالالتزامات الاخلاقية واستبغاء تأييد الجماهير للعلم وتعزيز ثقتهم .والمنظومة الاخلاقية للعلم هي نفسها ما يجب ان يكون عليه العالم او العامل في هذا المجال